زوائد المؤلفات على

كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية

معهد المنهج الدراسي الميسر

من الصف الأول إلى الثاني عشر

التعليق

(تائية شيخ الإسلام)

١- أَنَــا الْفَقِــيرُ إِلَــى رَبِّ الْبَرِيَّــاتِ أَنَــا المسـيكين فِـي مَجْمُـوعِ حَالَـاتِي

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

القصيدة التائية

في الافتقار إلى الله تعالى

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله تعالى (ت ٧٢٨هـ)

قال الإمام ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (٢/١٥٧-١٥٩): وبعث إليَّ ـ أعني: شيخ الإسلام ابن تيمية ـ في آخر عمره قاعدةً في التفسير بخطه، وعلى ظهرها أبياتٌ بخطه من نظمه:

أنا الفقيرُ إلى ربِّ البريَّاتِ ... أنا المُسَيْكينُ في مجموعِ حالاتي

أنا الظَّلومُ لنفسي وهي ظالمتي ... والخيرُ إن يأتنا من عندِهِ يأتي

لا أستطيعُ لنفسي جلبَ منفعةٍ ... ولا عنِ النفسِ لي دفعُ المضرَّاتِ

وليسَ لي دونَهُ مولًى يُدبِّرُني ... ولا شفيعٌ إذا حاطتْ خطيئاتي

إلا بإذنٍ منَ الرحمنِ خالقِنا ... إلى الشفيعِ كما قد جا في الآياتِ

ولستُ أملكُ شيئًا دونَهُ أبدًا ... ولا شريكٌ أنا في بعضِ ذرَّاتي

ولا ظهيرٌ لهُ كي يستعينَ بهِ ... كما يكونُ لأربابِ الولاياتِ

والفقرُ لي وصفُ ذاتٍ لازمٌ أبدًا ... كما الغِنى أبدًا وصفٌ لهُ ذاتي

وهذهِ الحالُ حالُ الخلقِ أجمعِهم ... وكلُّهم عندَهُ عبدٌ لهُ آتي

فمن بغى مطلبًا من غيرِ خالقِهِ ... فهوَ الجهولُ الظَّلومُ المشركُ العاتي

والحمدُ للهِ مِلءَ الكونِ أجمعِهِ ... ما كانَ منهُ وما من بعدُ قد يأتي

ضبطها العبد الفقير إلى ربه الغني:

أبو العباس حسني بن أحمد بن حسانين الجهني

زخرفها بقلمه [illegible]: الخطاط عثمان بن طه

بسم الله الرحمن الرحيم

درسنا[(١)] في القصيدة التائية لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى المتوفى في ٧٢٨ للهجرة، وهذه القصيدة نظمها في آخر حياته كما ذكره ابن القيم في مدارج السالكين، وأن شيخ الإسلام بعث إليه بقاعدة في التفسير وفي ظهر الكتاب هذه الأبيات بخط شيخ الإسلام.

قال رحمه الله تعالى:

١- أَنَـا الْفَقِـيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّـاتِ	أَنَـا المسـكِينُ فِي مَجْمُـوعِ حَـالَاتِي
٢- أَنَـا الظَّلُـومُ لِنَفْسِي وَهِـيَ ظَـالِمَتِي	وَالخَـيْرُ إِنْ يَأْتِنَـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَـأْتِي
٣- لَا أَسْـتَطِيعُ لِنَفْسِي جَلْـبَ مَنْفَعَـةٍ	وَلَا عَـنِ الـنَّفْسِ لِي دَفْـعُ المَضَرَّـاتِ
٤- وَلَـيْسَ لِي دُونَـهُ مَـوْلًى يُـدَبِّرُنِي	وَلَا شَـفِيعٌ إِذَا حَاطَـتْ خَطِيئَـاتِي
٥- إِلَّا بِـإِذْنٍ مِـنَ الـرَّحْمَنِ خَالِقِنَـا	إِلَى الشَّفِيعِ كَـمَا قَـدْ جَـاءَ فِي الْآيَـاتِ
٦- وَلَسْـتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا	وَلَا شَرِيـكٌ أَنَـا فِي بَعْـضِ ذَرَّاتِ
٧- وَلَا ظَهِـيرٌ لَـهُ كَـيْ يَسْتَعِينَ بِـهِ	كَـمَا يَكُـونُ لِأَرْبَـابِ الْوِلَايَـاتِ
٨- وَالْفَقْرُ لِي وَصْـفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَـدًا	كَـمَا الْغِنَـى أَبَـدًا وَصْـفٌ لَـهُ ذَاتِي
٩- وَهَذِهِ الحَالُ حَـالُ الخَلْـقِ أَجْمَعِهِـمْ	وَكُلُّهُـمْ عِنْـدَهُ عَبْـدٌ لَـهُ آتِي
١٠-فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِـنْ غَـيْرِ خَالِقِـهِ	فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُـومُ المُشْرِـكُ الْعَـاتِي
١١-وَالحَمْـدُ لله مِـلْءَ الْكَـوْنِ أَجْمَعِـهِ	مَا كَانَ مِنْـهُ وَمَـا مِـنْ بَعْـدُ قَـدْ يَـاتِي



(١) درس ألقي بمركز السعادة عمران عدن، ١٤٤٦ وتم إخراجه كما ترى.

وعددها أحد عشر بيتًا كما رأيت.

١-أَنَـــا الْفَقِـــيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّـــاتِ ... أَنَـا المسـيكين فِي مَجْمُـوعِ حَـالَاتِي
٢-أَنَا الظَّلُـومُ لِنَفْسِي-وَهِـيَ ظَـالِمَتِي ... وَالخَـيْرُ إِنْ يَأْتِنَـا مِـنْ عِنْـدِهِ يَـأْتِي

التعليق

١-يعترف لله سبحانه وتعالى بأنه فقير إليه عز وجل، وكل عباد الله تعالى فقراء إلى الله تعالى وجميع الخلق أيضاً، فهو الصمد الذي لا يحتاج إلى أحد وكل ما سواه محتاج إليه: ﴿اللهُ الصَّمَدُ﴾ وقد قال الله جل وعلا: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾.
الإنسان والخلق جميعًا فقراء إلى الله تعالى في كل شيء، في الدنيا وفي الدين وفي الآخرة، وفي أنفاسهم وفي رزقهم...
والمسيكين تصغير مسكين فالإنسان مسكين فقير إلى الله تعالى في مجموع حالاته، يعني: في الطفولة وفي الشباب في الشيبة، وأيضاً في حال الصحة وفي حال المرض، فالفقر إلى الله عز وجل وصف دائم للإنسان.

٢-(أَنَا الظَّلُومُ لِنَفْسِي) أي: أنا ظلمت نفسي، وهذا من تواضع شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، ويجب على العبد التواضع لله تعالى، والإنسان يظلم نفسه بأمور: يظلم نفسه أشد الظلم إذا وقع في الشرك، ويظلم نفسه دون ذلك إذا وقع في المعاصي، وأيضاً يظلم نفسه بالبدع أو بالتقصير في الطاعات.
(وَالخَيْرُ إِنْ يَأْتِنَا مِنْ عِنْدِهِ يَأْتِي) والخير والطاعة والتوفيق والصلاح والرزق إن جاء إلى العبد فإنما يأتي من الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللهِ﴾ أي: نعمة في العبد في الدين في العقل في الفهم في العلم كلها من الله سبحانه وتعالى.

٣-لَا أَسْتَطِيعُ لِنَفْسِي- جَلْبَ مَنْفَعَةٍ	وَلَا عَنِ النَّفْسِ لِي دَفْعُ المَضَرَّاتِ
٤- وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلَى يُدَبِّرُنِي	وَلَا شَفِيعٌ إِذَا حَاطَتْ خَطِيئَاتِي
٥- إِلَّا بِإِذْنٍ مِنَ الرَّحْمَنِ خَالِقِنَا	إِلَى الشَّفِيعِ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْآيَاتِ

التعليق

٣- لا يستطيع الإنسان أن يجلب لنفسه خيرًا أو أن يدفع عنها شرًا إلا بإذن الله تعالى فما أذن الله جل وعلا به هو الذي يكون، وهذا دليل على أن الأمور كلها يدبرها الله سبحانه وتعالى، فلا خير إلا منه ولا شر يدفع إلا بأمره، فعلى العبد أن يرجع إلى الله سبحانه وتعالى في ذلك.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول: (لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك).

٤- (وَلَيْسَ لِي دُونَهُ مَوْلًى يُدَبِّرُنِي...) ليس لي من ينصرني ومن يُعينني على تدبير الأمور إلا الله سبحانه وتعالى، فالله جل وعلا هو الذي يدبر العبد ويلهمه الصواب والرشاد، وقد كان من دعاء بعض السلف: اللهم إني لا أحسن التدبير فدبرني.

أيضاً في دعاء الوتر: (اللهم اهدنا في من هديت، وعافنا في من عافيت، وتولنا في من توليت)

فالله جل وعلا إذا تولى العبد ألهمه الصواب والرشاد.

فلا منجا ولا ملجأ من الله تعالى إلا إليه، ولا قوة ولا حول إلا به سبحانه وتعالى، فكل شيء بإذنه.

٥- أي: فلا يكون شيء مما سبق إلا بإذن الله سبحانه وتعالى. وأما قوله: (إِلَى الشَّفِيعِ)، فالمقصود إلى الله سبحانه وتعالى فهو الذي يعفو ويرحم ويغفر ويعطي ويمنع.



٦- وَلَسْـتُ أَمْلِـكُ شَـيْئًا دُونَـهُ أَبَـدًا وَلَا شَرِيــكٌ أَنَــا فِي بَعْـضِ ذَرَّاتِ

٧- وَلَا ظُهَــيْرٌ لَـهُ كَـيْ يَسْـتَعِينَ بِـهِ كَـمَا يَكُــونُ لِأَرْبَــابِ الْوِلَايَــاتِ

التعليق

أيضاً لست أملك شيئًا، الملك كله لله سبحانه وتعالى فهو الذي يعطي ويملك العبد كما جاء في بعض الأحاديث: أن الله جل وعلا حين يحاسب العبد يقول: (ألم أذرك ترأس وتربع)، فالله جل وعلا هو الذي يهيأ الإنسان أن يكون عنده من الملك أو العلم أو الجاه هذا كله تهيئة وتيسير من الله سبحانه وتعالى، ولا يستقل العبد بشيء من ذلك لكن يجب على العبد أن يبذل السبب، وليس في هذه الأبيات نفي السبب ولكن فيها نفي الاستقلال، أما بذل السبب فهو أمر لا بد منه، فالعبد لا يملك شيئًا في عقله أو في علمه كل شيء من الله عز وجل لا شريك له.

وقارون لما قال ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي ﴾ نفى أن هذا من الله عز وجل؛ فخسف الله تعالى به، وهكذا من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهذا من أهل التوحيد، ومن نفى عن الله عز وجل هذه النعمة فهو من أهل التنديد، (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) فمن نسب النعم إلى غير الله تعالى فهو كافر وجاحد لهذه النعم.

٦- (وَلَا ظُهَيْرٌ لَهُ...) أي: ولا معين فالله جل وعلا لا معين له بل هو الذي يعين العباد كي يقوموا بأفعالهم أو عباداتهم أو أحوالهم، فليس له معين في الخلق ولا في الرزق ولا في التدبير ولا في الملك ولا في الإحياء ولا في الإماتة، كما قال تعالى ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ليس له سبحانه وتعالى معين في جميع أفعاله.

(كَمَا يَكُونُ لِأَرْبَابِ الْوِلَايَاتِ) أي: الولاة يحتاج إلى معين يحتاج إلى الوزير إلى النائب إلى الوكيل هذا شأن الإنسان؛ لأن عنده من الضعف والقصور والنقص فهو بحاجة إلى من يعينه، أما الله جل وعلا فهو على كل شيء قدير وهو القوي المتعال، فلا يحتاج إلى إعانة أحد.



٨- وَالْفَقْرُ لِي وَصْفُ ذَاتٍ لَازِمٍ أَبَـدًا كَـمَا الْغِنَـى أَبَـدًا وَصْـفٌ لَـهُ ذَاتِي

٩- وَهَذِهِ الحَالُ حَالُ الخَلْـقِ أَجْمَعِهِـمْ وَكُلُّهُـــمْ عِنْـــدَهُ عَبْـــدٌ لَـــهُ آتِي

التعليق

٨- ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾. فقر الإنسان إلى الله تعالى وصف لازم في حياته وبعد مماته في شبابه وكبره وصف لازم يستمر الفقر إلى الله في هذا الإنسان حتى يلقى الله عز وجل وبعد أن يلقى الله تعالى حتى أهل الجنة فقراء إلى الله سبحانه وتعالى فقراء إلى الغني الكريم، والله جل وعلا هو الغني المستغني عن كل ما سواه والمغني لجميع الخلق بالرزق والتدبير والإعانة.

٩- هذا الحال الفقر إلى الله تعالى، والحاجة إليه وكون العبد لا يصلح شأنه إلا بأمر الله تعالى هذا وصف جميع الخلق ليس هناك مخلوق له من الكمال مال لله عز وجل، ولما ادعت النصارى أن المسيح له بعض صفات الله كفرهم الله عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ وقال الله عز وجل: ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وجميع الخلق والعباد يأتي يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا لله عز وجل: ﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾ وهكذا السماوات الأرض الجبال الشجر الحجر كلها عابدة وخاضعة لله سبحانه وتعالى.



١٠- فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ فَهُوَ الجَهُولُ الظَّلُومُ المُشْرِكُ الْعَاتِي

١١- وَالحَمْدُ لله مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ مَا كَانَ مِنْهُ وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي

التعليق

١٠- (فَمَنْ بَغَى مَطْلَبًا مِنْ غَيْرِ خَالِقِهِ): جلب نفع أو دفع ضر من غير الله عز وجل فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، كما يحصل من عباد القبور يطلبون الخير من القبور ويريدون دفع الشر من أصحاب القبور، وهكذا النصارى اليهود، وكل من لجأ إلى غير الله سبحانه فهو ظلوم لأنه وقع في أظلم الظلم وهو الشرك، وهو مشرك لأنه صرف العبادة وهي اللجوء والخضوع والدعاء والاستغاثة إلى غير الله سبحانه.

(الْعَاتِي): بمعنى المعاند أو شديد الانحراف وعدم الانقياد.

ثم ختم هذه القصيدة الجميلة بحمد الله سبحانه وتعالى فقال:

١١- (وَالحَمْدُ للهِّ مِلْءَ الْكَوْنِ أَجْمَعِهِ). الحمد لله: الثناء على الله بأسماء الحسنى وصفات العلى. ومن أفضل ألفاظ الحمد: (الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد...) الحديث. فهذا يعتبر من أبلغ الحمد لله جل وعلا، ومن أبلغ الثناء. (مَا كَانَ مِنْهُ) كل نعمة حصلنا عليها فهي منه سبحانه وتعالى.

(وَمَا مِنْ بَعْدُ قَدْ يَاتِي) أي: وما من نعم ستأتي فيما بعد أيضاً هي من الله جل وعلا، فما كان قد وقع وما لم يكن مما أراد الله جل وعلا لخلقه سيأتي والله جل وعلا هو المنعم على العباد في كل شيء، فينبغي للعباد أن يرجعوا إلى الله تعالى، وأن يفتقروا إلى الله تعالى، والافتقار إلى غير الله تعالى ذنب، والافتقار إلى الله جل وعلا عِز، والتذلل والخضوع بين يدي الله تعالى كرامة ونعمة وعلو ورفعة.

فهذه القصيدة التي قالها شيخ الإسلام رحمه الله تعالى بآخر حياته وهو في السجن، وقد سُجِن ست مرات، لأنه كان ينشر العقيدة الصحيحة، ووصل الأمر ببعض المبتدعة أنهم كانوا يقولون لا يخرج من السجن إلا إذا كتب مقالًا أنه متراجع عن عقيدته، فصبر رحمه الله تعالى، وثبت على هذه العقيدة الصحيحة، وكان بعضهم يدعو إلى إحراق كتب شيخ الإسلام، ولكن طلابه وهم كثير دوَّنوا هذه المؤلفات وحفظت وبقي في عصرنا منها شيء كثير.

وإن كان أيضًا هناك مؤلفات كثيرة ذهبت من كتب شيخ الإسلام، وما وقع في أيدي أهل البدع أحرقوه أو أخفوه، وهذه عادة أهل البدع إذا تمكنوا حاربوا السنة بكل ما أوتوا من قوة.

وانظروا في عصرنا هذا إلى أهل البدع في البلدان التي للصوفية فيها سلطة أو الشيعة أو الأشاعرة يحاربون أهل السنة، وهكذا التي تسلط عليها الإخوان المسلمون يحاربون أهل السنة ويحاربون العقيدة السلفية.

وبعد أن مات شيخ الإسلام نشر طلابه الخير لكن كانت الحرب عليهم شديدة فلما مات الطلاب لم يخلفهم إلا قلة قليلة ممن اشتهر، وقد وجد كثير ممن لم يشتهروا، ثم بعد ذلك تسلط أهل البدع ونشروا بدعهم على مدى خمسة قرون، وكان السني إذا دعا إلى السنة حاربوه كما ذكر هذا ابن الوزير وغيره، وقال قصيدة ومنها:

ما سلم الله من بريته　　　ولا نبي الهدى فكيف أنا

فنسأل الله عز وجل أن ينصر السنة وأهلها، وأن يرحم شيخ الإسلام وجميع المسلمين.

والحمد لله رب العالمين.

